الطفّيّات الرثائية والمولوديّة في شعر عباس (أبو الطوس)

دراسة في الموضوع الشعري

أ.م.د. علي كاظم المصلاوي ؛ كلية التربية، جامعة كربلاء
م.د. عبد الحسين عباس الحلي؛ كلية الآداب، جامعة أهل البيت عليهم السلام
رغد عبود جودي ؛ العتبة العباسية المقدسة

ملخص البحث باللغة العربية

أقيم هذا البحث ليحقق هدفين. الأول: تسليط الضوء على شخصية شعرية من شخصيات كربلاء المرموقة في وقتها على المستوى الشعري و الأدبي والتي لم تجد ذلك الاهتمام من الباحثين والأكاديميين بالشكل الذي يتناسب مع منزلة هذه الشخصية. اما الهدف الثاني فكان نتاج هذه الشخصية المتمثل بقصائده الطفية سواء الرثائية منها أو المولودية التي جاءت محققة لغرضها، فعمل البحث على الموازنة الموضوعية بينها للوصول إلى أولوية توسيع مصطلح (الطفيات) ليشمل الرثاء والمولود بعدما كان منحسرا في الرثاء.

وتوزع البحث في ضوء المعطيات الموضوعية على تمهيد و مبحثين تبعهما خاتمة أبرزت أهم النقاط التي خرج بها البحث.

وجاء التمهيد ليتناول التعريف بالشاعر وبمنزلته الأدبية.اما المبحث الأول فخص بالدرس والتحليل الطفيات الرثائية البالغة ثلاثة قصائد ومحاورها الموضوعية المتمثلة بـ(البطولة، والمأساة، وصوت الذات). أما المبحث الثاني فخص بالدرس والتحليل الطفيات المولودية البالغة قصيدتين ومحاورها الموضوعية المتمثلة بـ(البطولة، واشراقات المولد، وصوت الذات).

المقدمة

الحمد لله مبدع الأشياء، والصلاة على أفضل الأنبياء، أبي القاسم محمد أفصح الفصحاء، وعلى آله الطاهرين الأوصياء، وعلى صحبه المنتجبين الأتقياء..وبعد

كان الطف ولم يزل معينا يستقي منه الشعراء الإلهام و الوحي، ويستجلونه شعرا معبرا عن مكنونات حبهم ومشاعرهم، وما اعتقدوا به وآمنوا، فكانت (الطفيات) شعرا عبر عن الألم و الحزن الذي خلفته تلك الواقعة الدامية، وإذا ما حاول الشاعر أن يتلطف في محاولة الفرحة بـ(المولود الحسيني) لم يذهب بعيدا عما ترسخ في وجدانه وتأصل، وما ذاك إلا لعمق الفاجعة وما أهدته له من ألوان زادت حياته إصرارا وتحديا وأملا في الانتصار على الظالمين.

من هنا كان مصطلح (الطفيات)يتوسع ويتنامى ليحاول اللحاق بتجليات الواقعة وانبعاثاتها في مختلف الظواهر والجوانب المعرفية، لذا أطلقنا (الطفيات) على القصائد المولودية أيضا بعدما كانت منحسرة في

الرثاء كما كانت بداياته [1]. وعملنا على اختيار نموذج تمثل بقصائد عباس (ابو الطوس)، وهو احد شعراء كربلاء المعروفين في حقبة الأربعينات والخمسينات من القرن المنصرم، والمشهود له بشعره الوطني وحماسته في سبيل التحرر من نير المستعمرين، ولا يزال ديوانه مخطوطا لم يظهر للنور ولكن بعضا من أشعاره ظهر للنور متمثلا بقصائده في أهل البيت و المسماة بـ(صوت العقيدة).

فحقق البحث بذلك هدفين. الأول: تسليط الضوء على شخصية شعرية من شخصيات كربلاء المرموقة في وقتها على المستوى الشعري و الأدبي، التي لم تجد ذلك الاهتمام من الباحثين والأكاديميين بالشكل الذي يتناسب مع منزلة هذه الشخصية التي تعتز بها كربلاء وأبناؤها. اما الهدف الثاني فكان نتاج هذه الشخصية المتمثل بقصائده الطفية سواء الرثائية منها أو المولودية التي جاءت محققة لغرضها، فعمل البحث على الموازنة الموضوعية بينها للوصول إلى أولوية توسيع مصطلح الطفيات ليشمل الرثاء والمولود أو فلنقل الحزن والفرح.

وتوزع البحث في ضوء المعطيات الموضوعية على تمهيد و مبحثين تبعهما خاتمة أبرزت أهم النقاط التي خرج بها البحث.

وجاء التمهيد ليتناول التعريف بالشاعر وبمنزلته الأدبية.اما المبحث الأول فخص بالدرس والتحليل الطفيات الرثائية البالغة ثلاث قصائد ومحاورها الموضوعية المتمثلة بـ(البطولة، والمأساة، وصوت الذات). أما المبحث الثاني فخص بالدرس والتحليل الطفيات المولودية البالغة قصيدتين ومحاورها الموضوعية المتمثلة بـ(البطولة، واشراقات المولد، وصوت الذات).

وتجدر الإشارة إلى ان القارئ سيلحظ عدم التناسب بين المبحثين في حجم الأوراق وما ذاك الا لهيمنة الحزن وقوته في تعامل الشاعر مع الطف لا بوصفه مكانا بقدر ما هو أحداث وتجليات فنراه يطيل مقلبا مشاعره المتنوعة والمتداخلة في رسم ملامح نشيده المتناسب مع تنوع الأحداث وتداخلها في تلك الواقعة الأليمة.

اما الفرحة بالمولود فكانت اقل من ذلك بكثير فلم يطول الا بقدر مساحة الشعور عنده.

ولا يسعنا بعد حمد الله رب العالمين على توفيقه لإتمام هذا البحث الا ان نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور عبود جودي الحلي على مساعدته في انجاز البحث ومباركته، فله منا الدعاء بالصحة و التوفيق ودوام التقدم.

التمهيد

التعريف بالشاعر وبمنزلته الأدبية

١. التعريف بالشاعر:

هو عباس بن مهدي بن الحاج حمادي بن الحاج حسين الشهير بـ (أبو الطوس) ولد في كربلاء سنة ١٩٢٩ للميلاد الموافق ١٣٥٠ هـ للهجرة المباركة، كان والده عاملاً بسيطاً [2] يمارس مهنة بيع الكؤوس والهواوين مع ولده (صالح) الأخ الأكبر للشاعر عباس (أبو الطوس) ويعد من شعراء كربلاء الشعبيين. [3]

وما أن شب الشاعر وترعرع حتى دفعه أبوه إلى أحد الكتاتيب وهو لم يتجاوز السادسة من عمره، فتعلم القراءة، والكتابة، وولع بالأدب منذ الطفولة، فقرأ النحو كالقطر لابن هشام والألفية لابن مالك

---

١ -. ينظر: مراثي الإمام الحسين في الشعر العراقي للحقبة (١٩٠٠ – ١٩٥٠م): ٩ ـ ٢٣.

٢ –. ينظر: معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢ م: ٥٦/٣، ومعجم رجال الفكر والأدب في كربلاء: ١٠٩.

٣ –. ينظر: معجم الشعراء الشعبيين في كربلاء: ٦٦.

وطالع البيان والتبيين للجاحظ وجواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي وقرأ عن تاريخ الإسلام، وقضي شطراً من وقته في قراءة دواوين الشعراء، فحفظ ما يقارب من عشرة آلاف بيت من الشعر منها (المعلقات)، وكذلك حفظ خمسين خطبة من نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام، ثم نهض به عزمه لإكمال دراسته في النجف الأشرف التي مكث فيها حوالي سنتين ثم عاد إلى كربلاء وصار يشارك في المجالس الأدبية، وينشر قصائده في الصحف المحلية حتى جمع أكثر من ديوان وسمى أولها (هدير الشلال).[٤] عمل أبو الطوس بقالاً في سوق القصابين ثم ترك هذه المهنة لأنها لم تكن تناسب موهبته الأدبية وميوله، وعمل في مكتبة العروبة التي أشترك في فتحها كل من الأديبين الحاج جاسم الكلكاوي وحسن عبد الأمير المهدي.[٥]

انضوى الشاعر تحت لواء الحزب الوطني الديمقراطي الذي كان يرأسه المرحوم كامل الجادرجي وكان معروفاً بالصراحة والجرأة والحيوية مما جعله يترجم إحساسه العميق بالأوضاع الشاذة المحيطة به إلى شعر ملتهب الألفاظ صارخ المعاني لا يعرف المهادنة والتراجع والنكوص وكان هذا العامل قد جعل من (أبو الطوس) شاعراً وطنياً مرموقاً وقد ذاع اسمه نتيجة لذلك وقضى مدة عام ونصف العام متنقلاً بين جدران سجون الكوت وبغداد وبعقوبة وغيرها.[٦]

كان الشاعر يعاني كثيراً من الآلام النفسية الناتجة عن حياته المريرة وظروفه القاسية التي عاشها، والمرض الذي لا يكاد يبارحه، فقد كان مصاباً بمرض الروماتزم في القلب وقد أصيبت قدمه اليسرى بعاهة لازمته حتى وفاته.[٧] وقد خطفه الموت مبكراً إذ اشتد عليه المرض، وسقط فجأة على الأرض مغشياً عليه ونقل إلى المستشفى الحسيني بكربلاء في مساء ١٩٥٨/١٢/٢٤م وبقي تحت رعاية الأطباء يومين كاملين ثم فارق الحياة صباح السبت ١٩٥٨/١٢/٢٦م. وشيع جثمانه من لدن أصدقائه تشييعاً يليق بمنزلته إلى مثواه الأخير في وادي كربلاء.[٨]

٢. منزلته الأدبية:

احتلت النزعة الوطنية مكاناً رحبا في نفسية عباس (أبو الطوس)، وقد نظم جزءا من شعره في السجون، وكان ثورياً نابعاً من أحاسيسه الثورية.[٩] قال عنه الأديب حسن عبد الأمير: " ابتعد أدبه عن المديح المذل لأعناق الرجال، وانتهج (أدب الثورة) الذي نحتاجه في محنتنا الخانقة، التي نحن فيها الآن..".[١٠]

وقال عنه جاسم الكلكاوي: " شاعر لم يجار الشعراء من اتباع المادة والمصالح الخاصة وإنما يذهب بالمعنى الشعري الأصيل الذي تمليه عليه مشاعر صادقة ووطنية طافحة بالإيمان وإحساسات نبيلة ".[١١]

وكانت السمة الغالبة على شعره السمة الوطنية الثورية و كان شعره يتضمن الدعوة إلى التحرر والإنعتاق، وتحرك روح الثورة والانتفاض على الحكام الغاشمين.[١٢]

٤- ينظر: أدب الطف: ١٠ / ١٣٤، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢: ٥٦/٣.

٥- ينظر: محاضرة للدكتور عبود جودي الحلي ألقيت بتأريخ ١٩٩٣/١١/٨ ضمن أماسي البرنامج الثقافي لاتحاد الأدباء، فرع كربلاء على قاعة نقابة المعلمين: ٢.

٦- ينظر: دراسات في الشعر العراقي الحديث: ١٥٩.

٧- ينظر: كربلاء في الشعر العراقي الحديث من (١٩٢٠ – ١٩٧٠): ٤٢.

٨- ينظر: دراسات في الشعر العراقي الحديث: ١٦٤.

٩- ينظر: الوطنية في شعر كربلاء: ١٦ – ١٧.

١٠- مقدمة مجموعة (يوم الحسين الخالد): ١٠٦ (مخطوط).

١١- المصدر السابق: ١٠٨.

١٢- ينظر: معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء: ١٠٩.

ومع هذا كان أبو الطوس رقيق الطبع مرهف الحس، جياش العاطفة يكاد يذوب وجداً وصبابة، وكانت له قصائد في الغزل عبرت عن نفس رقيقة أحست بالحب وذاقت لوعته. [١٣]

أما نتاجاته الأدبية فقد ترك دواوين عدة منها: [١٤]

١. هدير الشلال: وهو أول ديوان للشاعر ويظهر إنه كان يختار تسميات لدواوينه فلمساته الثورية واضحة عليها. [١٥]
٢. من أغاني الشباب.
٣. النشيد الظافر.
٤. في محراب باخوس.
٥. زئير العاصفة.
٦. يوم الحسين الخالد.
٧. رباعيات: قال عنها الأديب حسن عبد الأمير وهو يتحدث عن شعره الذي نظمه في السجون: " ومن نتاج هذه الفترة رباعيات لو نشرت لرجع بصاحبها إلى ظلام السجن مرة ثانية ". [١٦]

طبع من شعره القسم الخاص بأهل البيت عليهم السلام وقد سماه مخرج تلك المجموعة الشعرية السيد سلمان هادي آل طعمة بـ(صوت العقيدة)، وله نتاجات نثرية عبارة عن مجموعة مقالات في الأدب والحياة كان الشاعر قد نشرها في صحف ومجلات متنوعة ويبدو إن الشاعر أطلق على مجموعة مقالاته اسم (سوانح عابرة). [١٧]

وقد جمع الدكتور عبود جودي الحلي ما أمكنه من شعر الشاعر ومقالاته النثرية في دفتر ـ لا يزال مخطوطا ـ أطلق عليه عنوانا هو: (المجموعة الشعرية للشاعر عباس أبي الطوس)، وقع في ٣٧٦ صفحة من الحجم المتوسط.

ولا ريب في ان (أبو الطوس) قد نظم في الإمام الحسين عليه السلام شعراً كثيراً يدفعه الى ذلك المناسبات الدينية السنوية التي تخص الإمام وهي عيد مولده واستشهاده وأربعينيته، فضلاً عما يوحيه مرقده المبارك من إلهام في صدور الشعراء الكربلائيين بشكل عام فلا يستطيعون معه إلا أن يسجلوا تجليات ذلك الإلهام بصورة شاعرية مستوحين من تلألئ القباب الذهبية ألواناً من الخيال والعاطفة الحسينية الثائرة.

ولكننا لا نجد له إلا خمس قصائد كانت موضوع دراستنا هذه، مما يعني ضياع كثير من شعره بشكل عام، ولم يتهيأ من يشمر عن ساعد الجهد ليجمع شعره ويحققه، ومرت السنوات وشعره موزع بين أصدقائه. [١٨] وفيهم من توفاه الأجل أو أنتقل إلى مدينة أخرى؛ وشعره المنشور في الصحف أصبح الحصول عليه أمراً عسيراً، ان لم يكن مستحيلا، وقد تكفل الدكتور عبود جودي الحلي بلم ما تبقى من شعر الرجل ونثره إلا إنه لم يظهره إلى النور حتى الآن.

وقد أعتمد البحث على مخطوطة الدكتور عبود جودي الحلي وعلى ما نشره السيد سلمان هادي آل طعمة في مجموعته (صوت العقيدة) فوجد خمس قصائد نعتت ثلاث منها بـ (القصائد الطفية الرثائية) واثنتان منها بـ (القصائد الطفية المولودية) متوقفين عند أهم المحاور الموضوعية التي تضمنتها تلك القصائد.

١٣- . ينظر: دراسات في الشعر العراقي الحديث: ١٦٣.
١٤- . النخبة من أدباء كربلاء: ٣٤.
١٥- . ينظر: أدب الطف: ١٠/١٣٤.
١٦- . مقدمة (يوم الحسين الخالد): ١٠٦ (مخطوط).
١٧- . مقدمة صوت العقيدة: ٦.
١٨- . ينظر: ديوان الشاعر المخطوط: ١٠٢ و ٢١٥.

وتجدر الإشارة إلى الإفادة من مخطوطة الدكتور عبود جودي الحلي بالحصول على إحدى القصائد الخمس الطفية التي لم تكن ضمن مجموعة (صوت العقيدة) ولعلها مما سقط سهواً من الناشر، أو إنها غابت عنه، أو سقطت في أثناء الطبع، وعلاوة على هذه الإفادة فقد أتاح لنا المخطوط المقارنة بين الأبيات وتسلسلها، وتغيير بعض الألفاظ ببعضها الآخر، وغير ذلك مما أثبتناه في هوامش البحث.

المبحث الأول: موضوعات القصيدة الطفية الرثائية

عند فحص القصائد الطفية الرثائية لعباس (أبو الطوس) نجدها قد تمحورت على ثلاثة محاور رئيسة تمثلت بـ: أولاً: البطولة، وثانياً: المأساة، وثالثاً: صوت الذات. وفيما يأتي سنتناول هذه المحاور بالعرض والتحليل:

أولاً: البطولة:

وهي أكثر الموضوعات وروداً في طفياته الرثائية عند الشاعر وكأنه أراد التركيز على الجانب البطولي للإمام الحسين عليه السلام والبعد الثوري الرافض للظلم والاضطهاد أكثر من تركيزه على الجوانب الأخرى التي تشتمل عليها الثورة الحسينية. ولعل مرجع ذلك الظروف السياسية التي كان يعيشها العراق في تلك الحقبة من تاريخه.[١٩]، وروح الشاعر الوثابة، وأنفاسه الحماسية، فقد عرف بين أقرانه بالصراحة والجرأة والحيوية وقد انعكست هذه المزايا في شعره.[٢٠]

ولا ريب في أن الثورة الحسينية غنية بتلك المعاني ولها أعمق التأثير في شحذ الهمم وتحريك النفوس تجاه الثورة والرفض [٢١] فإذا اجتمع هذا مع نفس ثائرة وظروف قاهرة كانت النتيجة شعراً يلتهب بطولة ويشع كرامة.

قرن الشاعر ذكر البطولة الحسينية بالسلالة الطاهرة التي انحدر منها سيد الشهداء عليه السلام لتكون البطولة عنده معطرة بأريج النبوة ومنيرة بألق الإمامة، فنراه يخاطب الإمام عليه السلام بقوله:[٢٢]

لـــك مثلمـــا لمحمـــد وجهـــاده ... عـــزم وإقـــدام وخلـــق نـــيرَ

إلى أن يعبر عن تلك المعاني في القصيدة نفسها بقوله: [٢٣]

يـــا ابـــن الـــذين إذا الخطـــوب تماســـكت ... هـــزؤوا بهـــا وبمـــا تســـيل وتمطـــر
يـــا ابـــن الهواشـــم والأبـــاطح والألى ... بفعـــالهم راحـــت تـــدوي الأعصـــر
وابـــن الأكـــارم لا يمـــس رداءهـــم ... وضـــر مـــن المســـتقبحات مـــدمر
والذائـــدين عـــن الحمـــى بنفوســـهم ... والصـــابرين إذا أســـتحر مقـــدر
والبـــاسمين إذا الســـيوف تـــلألأت ... مـــن نجـــدة وغـــدت دمـــاء تمطـــر

١٩- ينظر: تاريخ العراق السياسي الحديث: ج١.

٢٠- ينظر: مقدمة الجزء الخاص بأهل البيت من شعر الشاعر وهو الجزء الوحيد المطبوع من شعره والمسمى (صوت العقيدة): ٣.

٢١- ينظر: أغلب المصادر الحديثة التي تناولت تأريخ النهضة الحسينية ومنها على سبيل: أضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام، شذرات من فلسفة تأريخ الإمام الحسين عليه السلام للسيد محمد الصدر، حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ باقر شريف القرشي، الملحمة الحسينية للشيخ مرتضى مطهري، الحسين في الفكر المسيحي لأنطوان بارا وغيرها.

٢٢- صوت العقيدة: ٢٧.

٢٣- م.ن: ٢٨.

والباسطين أكفهم ولنعم ما تهمي به شيم الأباة وتزخر

فهو يصور شجاعة البيت الهاشمي ومنزلتهم الرفيعة، وحسن أفعالهم ومواقفهم، وطاهر يدهم، والمستبسلين في حماية المستجير بهم، والباسمين عندما تشتجر السيوف وتلتمع، والمكرمين الذين ما انفكوا يبذلون ما لديهم لمن سألهم ومن لم يسألهم، وهذه الصفات هي بلا شك الصفات المثلى التي رآها العربي في ممدوحه. والملفت للنظر ان الشاعر يستمد معانيه وصوره من الموروث فبيته الخامس ناظر إلى قول حسان بن ثابت [٢٤]:

لنا الجفنات الفر يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وكذلك أسلوب التكرار لعبارة (يابن) الذي يفتتح به مدحه وإشادته ببني هاشم يذكرنا بتكرار الفرزدق في قصيدته في مدح الإمام زين العابدين عليه السلام عبارة (هذا ابن) ليفتتح بها تعداده للصفات النبيلة التي تجسدت بممدوحه[٢٥].

وفي حديث الشاعر عن شجاعة الحسين عليه السلام وبسالته نراه يستعيد مفاخر البيت الهاشمي وبطولاته في سوح الوغى وثباته أمام العاديات فيقول: [٢٦]

وأنت إبن الذين جروا صفوفاً على لهب الوغى ومشوا تباعاً
وإن دوّى [٢٧] من الأحقاد صوت أطاروا قلب باعثه شعاعا
وإن أمست ذئاب الشر تعوي مماكرة أذلوها اصطراعا
وقد بزغوا على الدنيا نجوماً وخاضوا كل معترك سماعا
وكان الجود دأبهم وكانوا لكل كرامة بحراً مشاعا [٢٨]
ونشر الحق عندهم شعارا يرف فيملأ الظلم ارتياعا
ويعصف بالجناة إذا استهانوا بنور الحق واحتكموا اختراعا [٢٩]

وفي إلتفاتة رائعة تظهر للمتلقي صورة بطل الإسلام الخالد وسيف الله وحامي الدين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام صاحب الأيادي البيضاء في أخطر نقطة تحول في تأريخ الإنسانية وبطولاته في التأريخ الإسلامي لذا نرى الشاعر يعده (ملهم البطولة) لولده الحسين عليه السلام بعد أن يذكر بعضا من بطولاته عليه السلام قائلاً [٣٠]:

وأنت ابن الذي اختبر الدواهي وقارعها فأتعبها قراعا
وثار بكل (معمعةٍ) فألوى جيوش الشرك زاحفة تباعا
فلم يترك [٣١] إلى عمرو مجالاً ولم يترك لمرحبها قلاعا

٢٤- ديوان حسان بن ثابت: ٤٢٧.
٢٥- ينظر ديوان الفرزدق: ٤٥٥.
٢٦- صوت العقيدة: ٣٣.
٢٧- في المخطوط وردت (ضوى) بدلاً عن (دوى): ١٢٠.
٢٨- جاء هذا البيت في الديوان المخطوط: ١٢٠ بشطر آخر هو:
وكان الجود دأبهم وكانوا خضماً فيه لم يجمد ضياعا
٢٩- تلا هذا البيت في المخطوط: ١٢٠
وإن بات الأبي بلا نصير وظلّ إباؤه يشكو الضياعا
٣٠- صوت العقيدة: ٣٣.
٣١- في المخطوط وردت (يسلس) بدلاً عن (يترك): ١٢٠.

وقد وافى (محمد) وهو طفل ... صغير السن لم يكمل رضاعا
وآزره فكان لديه سيفاً ... وكان بكل معركة [٣٢] ذراعا
وقد فاق الورى بغدير خم ... علوا في الخلافة وارتفاعا
وطلقها ثلاثاً وهي دنيا ... يسوى فعالها ساعاً فساعا
وجابه كل مسعرة فأدمى ... أنوف المارقين بها ارتجاعا
وألهمك البطولة عن سداد ... فلم تخطئ لها هدماً مناعا
وغذاك الصمود فلم تواكب ... يداً تجني ولا صرحاً تداعى

وقد عالج الشاعر موضوعة البطولة بطريقة أخرى وهي الحديث عن صفات الإمام الحسين عليه السلام من رباطة الجأش وقوة العقيدة وحرية الفكر وغيرها وأستعمل في ذلك ألفاظاً قوية رنانة ليوضح فكرته، كما استعمل الأفعال المضارعة لتعطي صورته حركة وثورة مما يجعل المتلقي أكثر تفاعلاً مع النص إذ افتتح إحدى رثائياته بقوله. [٣٣]

عركت الخطب لم تخش القراعا ... ولم تهب المنية والصراعا
ولم ترد الهناء على خنوع ... ولم تنطق بسادرة ذراعا
ولم تتطلب الأهواء تزجي [٣٤] ... أعنتها انقياداً وانصياعا
ولم تثقلك عادية الليالي ... إذا أحتمت ولم تثب افتزاعا
ولا البلوات زاحفة حشوداً ... ولا الكربات تنتظم اجتماعا
ولا الأهوال دائرة رحاها ... عليك تزيد جانبك التياعا

وخلت القصائد الطفية الرثائية من المقدمة الطللية أو الغزلية أو الخمرية التي عهدها الشعر العربي، ولعل السبب في ذلك غرض القصيدة الرثائي فإن " الأخذ في الرثاء يجب أن يكون مشغولاً عن التشبيب بما هو فيه من الحسرة والإهتمام بالمصيبة؛ .. ".[٣٥] ولعل هذه المسألة تمثل إستجابة طبيعية لدواعي التأثر بمأساة كربلاء وتعبيرا عن عاطفة الحزن على الإمام الحسين عليه السلام ولعل الشاعر كان يتحرج من الإبتداء بالغزل أو ذكر النساء أو وصف الضعائن والأطلال وهو بحضرة سيد الشهداء، هذا من جانب موضوعي ومن جانب فني لعل المسألة ترتبط بموقف الشاعر من التراث وميله إلى التجديد بحسب ثقافته الأدبية، وقد أجرى أحد الباحثين إحصاء لقصائد الرثاء لشعراء الحقبة الزمنية التي عاشها شاعرنا فوجدها تخلو من المقدمات التقليدية [٣٦] مما يعطينا صورة لميل شعراء تلك الحقبة للتجديد ورفضهم للتراث الشعري التقليدي في بعض أجزائه.

٣٢- في المخطوط وردت (مفزعة) بدلاً عن (معركة): ١٢٠.
٣٣- صوت العقيدة: ٣١.
٣٤- في المخطوط وردت (ترجي) بدلاً عن (تزجي): ١١٨.
٣٥- العمدة: ١٥٢/٢.
٣٦- ينظر: مراثي الإمام الحسين في الشعر العراقي للحقبة (١٩٠٠ – ١٩٥٠م): ١٣٢.

وقد أستعمل الشاعر ألقابا للحسين عليه السلام يظهر من خلالها المنزلة العظيمة التي يحظى بها الإمام في الإسلام فهو طهر الإباء، ومناعة الإسلام وطلاقة الدين الى غيرها من الصفات المبجلة التي نجدها في قوله [٣٧]:

أحسين يا طهر الإباء وعالماً ... بالنور والوحي المقدس يزخر
ومناعة الإسلام حين يمسه ... عوج من الخطب البغيض ومنكر
وطلاقة الدين الأغر وحصنه ... وصلابة الموت الذي لا يقهر
يا قدوة المتسابقين إذ دنا ... يوم القتال وجمره المتسعر
ومقارع الطاغين حيث تجمعوا ... لبلوغ مأربهم وحيث تجمهروا
يا قائد الأنصار لا ينتابه ... جزع ولا صمصامه يتكسر

ثم يرسم الشاعر صورة لـ (عالم البطولة) ويصف طريق ذلك العالم وكيف تمكّن أبو الشهداء من أن يكون الجبل الأشم أمام العوادي حتى كادت السماء أن تتغير تفاعلاً مع المواقف الحسينية:

يا سبط أحمد والبطولة عالم ... بالتضحيات الزاكيات منور
وطريقه دامي الجوانب مفزع ... لا سامر يلهو وليل مقمر
زحمتك جامحة الأذى فسحقتها ... بعقيدة شماء لا تتقهقر
ومضت تهاجمك الطغاة بكل ما ... تحوي من الصور القباح وتذخر
فثبت كالجبل الأشم [٣٨] أمامهم ... متقلداً بشجاعة لا تقهر
وصرخت في وجه المضلل صرخةً ... كادت لها حتى السما تتغير

ولقد شبه الشاعر الإمام عليه السلام بالليث مرة وبالطيب مرة أخرى وبالبحر مرة ثالثة، أما تشبيهه بالليث فهو تقليدي لأن الشجاع يشبه بالليث عادة وقد اعتادت الأذن العربية على هذا التشبيه، ولكنه حين شبه الإمام عليه السلام بالطيب الذي يعبق فيذكي الهمم والعزم وبالبحر الذي يجرف الرجس كان تشبيهه جديداً وفيه فنية عالية، لأن العرب تشبه الكريم بالبحر لسعة عطائه أما أن يكون الشجاع بحراً يجرف أعداءه ففيه مبالغة جميلة تسترعي الانتباه و الإعجاب، وكذلك جعل البطل طيباً يذكي العزم و الهمم قال أبو الطوس [٣٩]:

وأنت الليث في البلوى ثباتاً ... وأنت العزم لم يهن اختضاعا
وأنت البحر يجرف كل رجسٍ [٤٠] ... وأنت الموت لم يخش النزاعا
وأنت الطيب يعبق بانتشار ... فيذكي العزم والهمم الوساعا
ويستوحي المكارم والسجايا ... ويوسع أفقها الرحب أتساعا
وإشعاع الهداية لا يبقي ... إذا ما لاح سجفاً أو قناعا
وعنوان الشجاعة حين تطفى ... مروعة وتفتقد الشجاعا

٣٧- . صوت العقيدة: ٢٩.
٣٨- . في المخطوط وردت (العظيم) بدلاً عن الأشم: ١١٤.
٣٩- . صوت العقيدة: ٣٢.
٤٠- . في المخطوط وردت (يد) بدلاً عن رجس: ١١٩.

وقد نعت الشاعر الجيش الذي حارب الإمام عليه السلام بنعوت مختلفة منها (رجال البغي)، (الطاغين) ووصفهم بقسوة القلوب وخزي النفوس وأشار إلى جرأة أعداء الحسين وتجاوزهم الحدود بظلمهم إذ عرضوا أسرة الإمام عليه السلام للعطش وقتلوا ولده حتى الطفل الرضيع ولم يكتفوا بقتل سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنما جالت خيولهم على جسده الشريف ورفعوا رأسه على الرمح وساروا بأسرته أسارى من بلد إلى بلد على حالة يعجز أن يصفها القلم...

وعبر عن قتل الحسين عليه السلام بانتهاك حرمة الإسلام قائلاً [41]:

أبا الشهداء حسب الأرض فخراً ... نزلت بها وحاربت الضياعا
وجالدت الطغاة بدت جموعاً ... جحافلها وقد خسئت طباعا
وجرّدت الحسام بها لتردي ... رجال البغي [42] حيث أتت سراعا
فسحقاً للذين رموك حقداً ... وجاروا أمرة الباغي طواعا
وخانوك العهود وأي عهدٍ ... لدى الطاغين يحفظ أو يراعا
فما أعدى (ضمائرهم) عداءً ... وما أخزى نفوسهم صناعا
وما أقسى قلوبهم تشرت ... من الأهواء وامتلأت طماعا
طغوا في الأرض فاقتحموا وعاثوا ... بها فسقاً وحرقاً واقتطاعا
وداسوا حرمة الإسلام فيها ... بقتلك حينما أتحدوا جماعا

ثم يصف وقفة الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً جيش الضلالة الذي جاء لمحاربته واحتشد لأسوء الغايات بعد أن وصف ضمائرهم ونفوسهم التي تردت بهم لتوصلهم إلى حرب بشعة يحاربون فيها شخصاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيره، انتقل إلى وصف الوقفة الحسينية ضد ذلك الجيش [43]:

نزلت الطف فانتشروا جراداً ... تخاطبهم فلا تلقى سماعا
وتسألهم فلا تلقى مجيباً ... وتدعوهم فلم تجد انصياعا
وحين رأيت ورد الموت أحلى ... من الذل الذي يخزي الشجاعا
جذبت السيف لا تخشى المنايا ... ولا الجيش الذي ملأ البقاعا
ونكست الوجوه تفيض عاراً ... وأرؤسها التي احترقت صداعا
وألويت الجموع على قفاها ... مطوحةً وقد يئست صراعا [44]

وقد عالج الشاعر موضوعة البطولة من جانب آخر وهو رفض الإمام الحسين عليه السلام للبيعة. وقد ذكرها في جميع قصائده بطريقة واحدة تقوم على الإفادة من نصين وردا عن الإمام الحسين عليه السلام هما:

الأول قوله عليه السلام " إن الدعي إبن الدعي قد تركني بين السلة والذلة وهيهات له ذلك مني هيهات منا الذلة... "[45] و الثاني قوله عليه السلام :" ومثلي لا يبايع مثله " [46]

٤١- . صوت العقيدة: ٣٣.
٤٢- . في المخطوط وردت (دعاة السوء) بدلاً عن رجال البغي: ١٢١.
٤٣- . صوت العقيدة: ٣٤.
٤٤- . ورد بعد هذا البيت في المخطوط: ١٢٢
وعلمت الرجولة كيف تذكو ... وتأبى العيش بالصمت اقتناعا

ويتوضح ذلك في قوله: [٤٧]

وأبيـــت إقـــراراً لبيعـــة ظـــالم ... يصـــحو بأحضـــان الفجـــور ويســـكر[٤٨]
وقـــد ارتضـــيت لـــك المنيـــة مـــوردا ... عـــذباً ولا عيشـــاً يهـــان وينكـــر
وبـــأن تقطعـــك الســـيوف بكـــربلا ... وحمـــاك ينهبـــه العـــدو المـــوغر

نعم، فكيف يبايع الإمام شخصاً فاسقاً تربى في الفجور وأدمن فعل المنكرات، لذا فإنه عليه السلام أقبل على الشهادة غير مبال بما سيحل به اوعليه وعلى أولاده وصحبه من مصائب ليثبت للأمة درساً في الكرامة والعزة تعجز عن إعطائه الخطابات والتنظيرات، وقد أفاد الشاعر من هذا المعنى ورأى إن الإمام عليه السلام قد أرتضى له مورد المنية العذب مقابل العيش المهين المنكر ورضي أن يكون نهباً لسيوف جيش الضلالة وأن تبقى نساؤه دون ولي يرد عنهن كيد الظالمين وجور الطغاة من ذلك الجيش اللعين.

ويصور في قصيدة أخرى الأهوال التي تعرض لها أبو الشهداء عليه السلام كانت تزيده إصراراً وثباتاً على الحق ولم تكن التهديدات التي حاولت السلطة إيصالها له لإجباره على البيعة لتثني نفسه الكبيرة وتجعله يعلن الطاعة للظالمين فقد قال [٤٩]:

ولا الأهـــوال دائـــرة رحاهـــا ... عليـــك تزيـــد جانبـــك التياعـــا
وتطلـــب منـــك أن تجـــري طواعـــا ... لزعنفـــة وتلتـــزم القناعـــا
وأي يـــدٍ مكرمـــة تجـــاري ... يـــداً ملئـــت جرائمهـــا البقاعـــا
وحـــر يســـتقر [٥٠] علـــى هـــوان ... يـــدبره لـــه الجـــاني ابتـــداعا
ليـــورده المهالـــك والخطايـــا ... ويلويـــه انتكاســـاً وارتجاعـــا

ويتساءل الشاعر بالاستفهام الإنكاري أن كيف يغض الإمام الحسين عليه السلام طرفه عن الطغاة فضلاً أن يمد يده مبايعاً للسلطة الحاكمة الجائرة وكيف يقر بشرعيتها ويساير بغيها ، قد أنتجع طاغيها بالشهوات وتاه في اللذات المحرمة، وقد ضاق المسلمون بفعاله ومناع الحق وأوشك الدين المحمدي على الضياع والتحريف على يده:

فكيـــف عـــن الطغـــاة تغـــض طرفـــاً ... وتقنـــع أن تمـــد لهـــا الـــذراعا [٥١]
وكيـــف تقـــر شـــرعتها رضـــوخاً ... وكيـــف تســـاير البغـــي اصـــطناعا
وتهمـــل جـــور ســـفاك تمـــادى ... وســـام الحـــق خســـفاً مـــا اســـتطاعا
وتـــاه بغمـــرة اللـــذات جهـــلاً ... وفي الشـــهوات مـــا شـــاء انتجاعـــا
فضـــاق المســـلمون بـــه فعـــالاً ... وأوشـــك ديـــن جـــدك أن يضـــاعا

٤٥ – . الاحتجاج: ١٩٢/٢.
٤٦ – . الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام : ٤٣.
٤٧ – . صوت العقيدة: ٢٩.
٤٨ – . ورد بعد هذا البيت في المخطوط: ١١٤
ويقيم حيث المخزيات تزيده قبحاً وفي إجرامه يتعثر
٤٩ – . صوت العقيدة: ٣١.
٥٠ – . ورد في المخطوط (ونفس تستقر) بدلاً عن (وحر يستعر): ١١٨.
٥١ – . صوت العقيدة: ٣٢.

وكيـــف يـــلازم الصـــمت اقتعـــادا وجـــيش الـــزور مـــزدحم جماعـــا

ويناقش الشاعر مسألة رفض البيعة في قصيدة أخرى بنفس الطريقة السابقة وهي استنكار أن يبايع شخص كالحسين عليه السلام ابن بنت رسول الله (صلى اله عليه وآله) شخصاً كيزيد وأن في بيعته الذل والهوان الذي يأباه الحر ويرى الموت دون كرامته حرية وعزة ثم يضيف الى هذا المعنى أن الإمام قد مشى في طريق أبائه وأجداده ، طريق الكرامة والعزة والإباء:

كيـف يرضـى الحسـين بيعـة رجـس آثـم قـد نمـى بشـر المهـودِ [٥٢]
وحيـاة العظـيم يـا قـوم تـأبى الـ عـيش في الـذل والهـوان المديـدِ
دأبـه أن يعـيش حـراً وإلا (بـين طعـن القنـا وخفـق البنـود)
ووثـوب الحسـين وثبـة حـق ورشـاد علـى ضـلال العبيـد
تـرك العـيش والحيـاة جميعـاً وتمشـى علـى طريـق الجـدود [٥٣]

من الواضح أن الشاعر قد أقتبس عجز بيت المتنبي الشهير:

عـش عزيـزاً أو مـت وأنـت كـريم بـين طعـن القنـا وخفـق البنـود [٥٤]

وهذا يدلنا على تأثر الشاعر بالتراث العربي ومحاكاته لبعض معانيهم.

ثانياً: المأساة:

أحدث الإمام الحسين عليه السلام هزة عميقة في وجدان الأمة وكان استشهاده مقتولاً بتلك الطريقة المفجعة والتمثيل بجسده الشريف وقتل أولاده وإخوانه وبني عمومته وأصحابه وقطع رؤوسهم والطواف بها من بلد إلى بلد مع مخدرات بيت الرسالة بتلك الطريقة القاسية أمراً يندى له جبين الإنسانية ويصدم النفس البشرية ويذهلها ومن الواضح أنّ هذا الأمر لا يخص المسلمين فحسب بل تجاوز إلى كل من عرف الحسين عليه السلام وسمع بمصيبته من أي دين كان منذ قتل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، يقول الكاتب المصري إبراهيم عبد القادر المازني: " لا يزال مصرع الحسين بعد أربعة عشر قرناً يهز العالم الإسلامي هزاً عنيفاً ولست أعرف من تأريخ الأمم قاطبة حادثة كان لها هذا الأثر العميق على الزمن في مصائر دول عظيمة وشعوب شتى ولقد بلغت من الذيوع والشهرة أن أصبح يرويها الكبير والصغير والمسلم وغير المسلم ". [٥٥]

لذلك يمكن عدّ التفاعل العاطفي أو الجانب الرثائي بداية القصيدة الطفية وجذورها الأولى وكان قصب السبق في ذلك لنساء البيت الحسيني الطاهر اللواتي عاشرن آلام المصيبة وذقن مرارة السبي من ذلك ما قالته السيدة الرباب بنت امرئ القيس [٥٦]، زوجة الإمام الحسين عليه السلام [٥٧]:

واحسـيناً فـلا نسـيت حسـينا أقصـدته أسـنة الأعـداء
غـادروه بكـربلاء صـريعاً لا سـقى الله جـانبي كـربلاء

٥٢- . ديوان الشاعر المخطوط: ٣١٧.

٥٣- . هذا المقطع من القصيدة التي قالها الشاعر بمناسبة ذكرى أربعين الإمام الحسين عليه السلام وهي لم ترد في الجزء المطبوع من ديوان الشاعر بل وجدتها في ديوانه المخطوط ولعل السبب في ذلك سقوطها سهواً من ناشر الديوان والله العالم.

٥٤- . شرح ديوان المتنبي: ٣٣/٢.

٥٥- . أدب الطف: ٢٨/١.

٥٦- . ينظر في ترجمتها: أدب الطف: ٦١/١ وما بعدها.

٥٧- . أدب الطف: ٦١/١.

وأستمر الرثاء الخالص عند شعراء القرن الأول الهجري الذين رثوا الإمام الحسين عليه السلام بعيون عبرى وقلوب حرى أذكر منهم سليمان بن قتة [٥٨] الذي قال في رثائه عليه السلام [٥٩]:

مـــررت علـــى أبيـــات آل محمـــد ... فلـــم أرهـــا أمثالهـــا يـــوم حلـــت

ألم تـــر أن الشـــمس أضـــحت مريضـــةَ ... لفقـــد حســـين والـــبلاد اقشـــعرت

وكـــانوا رجـــاءَ ثـــم صـــاروا رزيـــة ... لقـــد عظمـــت تلـــك الرزايـــا وجلـــت

لذلك فإن الرثاء يعد أساساً للقصيدة الحسينية ومركزاً لها وتأتي الموضوعات الأخرى فيها تبعاً.

وجانب المأساة عند عباس (أبو الطوس) يحتل مركزاً مهماً في قصائده ويمتاز بحرارته وصدقه على الرغم من كونه عرضاً تقليدياً لا جديد فيه، فالشاعر يستعرض المصائب التي مرت على سيد الشهداء عليه السلام وتحسر على ذلك تحسراً يوصل للمتلقي الألم والحزن الذي يعمل في نفسه ليشاطره ذلك الألم، لذا فإن جانب المأساة عنده أقوى تأثيراً من الجوانب الأخرى ويمكن تعليل ذلك بأن الشاعر عندما يعرض ذلك يشعر بحرقة وألم قد لا تتوافر في عرضه للبطولة الحسينية مثلاً مما يجعل المتلقي ينفعل معه، وقد عدّ أحد الباحثين الرثاء أصدق ما عبر به الأدباء عن مشاعرهم لأنهم غالباً ما يقولونه وأكبادهم تحترق[٦٠].

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من أهل بيته عليهم السلام تذكر بالثواب الجزيل الذي يحصل للباكي لمصيبة الإمام الحسين عليه السلام والمبكي له [٦١] فهذا أحد أسباب حرص الشعراء على استذكار المصائب التي مرت بالإمام الحسين عليه السلام طمعاً بالجزاء الأخروي.

يعرض أبو الطوس في إحدى قصائده المأساة الحسينية بطريقة الاستفهام الإنكاري مستعملاً الهمزة فيه مستعرضاً بعض المآسي التي وقعت على شخص الإمام الحسين عليه السلام من تعفير وجهه الشريف في الثرى، وسحق صدره الطاهر تحت سنابك الخيل، يذكر ذلك إجمالاً ويضيف إليها ضرب متون المخدرات بالسياط وتعرضهن للأسر، يقدم لكل ذلك (حرقة في كل قلب) و (لوعة لكل مهجة) و (دمعة حرى لكل عين) يقول [٦٢]:

كـــم مهجـــة تلـــوى لرزئـــك لوعـــةَ ... ولحـــزن يومـــك آهـــة تتفجـــرَ

في كـــل قلـــب حرقـــة لا تنطفـــي ... وبكـــل عـــين دمعـــة تـــتحير

أوَ مثـــل شخصـــك يســـتبد بـــه الأذى ... و بـــه يحـــز مـــن العـــذاب الأعســـر

أوَ مثـــل وجهـــك وهـــو نـــور هدايـــة ... يـــوحي الكرامـــة في الثـــرى يتعفـــر

وبناتـــك المتحجبـــات ينالهـــا ... جـــور العـــداة [٦٣] وبالســـياط تســـير

أو مثـــل صـــدرك وهـــو منبـــع حكمـــة ... ودرايـــة تحـــت الخيـــول يكســـر

ثم يشير الشاعر إلى بشاعة الموقف الذي وقفه الجيش الذي حارب الإمام الحسين عليه السلام ويشير إلى ما قاله الإعرابيان الأسديان اللذان لقيا الإمام عليه السلام في بعض مسيره إلى العراق وسألهما عن أحوال الناس هناك فقالا: (يابن رسول الله إن قلوب الناس معك وسيوفهم عليك فأرجع) [٦٤] وذلك في قوله[٦٥]:

٥٨- ينظر في ترجمته: أدب الطف: ١/ ٢٨ وما بعدها.

٥٩- مقاتل الطالبين: ٨١.

٦٠- ينظر: الأدب العربي في كربلاء من إعلان الدستور العثماني إلى ثورة ١٩٥٨ تموز: ٨٣.

٦١- ينظر: الشعائر الحسينية: ٣٩ ومابعدها.

٦٢- صوت العقيدة: ٣٠.

٦٣- في المخطوط وردت (العتاة) بدلاً عن (العداة): ١١٥.

سحقاً لقوم شايعوك فأضمروا ... لك ما يشين وللصواب تنكروا
وتكالبوا فرقاً عليك وزمروا ... باسم العتاة الفاجرين وكبروا
ما كان أقبحها يد قد مزقت ... منك الفؤاد على الظمى يا قسور [٦٦]
وأذل نفس خاصمتك بموقف ... حتى الجماد أسىً له يتفطر

إن هذه الأوصاف التي نعت الشاعر بها أعداء الحسين عليه السلام لهي قليلة في حقهم، فهؤلاء قوم طبع الله على قلوبهم ونزع منها الرحمة والإنسانية، فالحسين عليه السلام بالأمس يسقيهم وهم يقتلونه عطشاناً بجنب الفرات وأهل بيته عطاشى منعوهم من الماء، ووصل سواد دواخلهم إلى درجة يقتلون فيها الرضيع في حضن والده عطشاناً، ولعل الشاعر أراد هذه المصيبة بقوله [٦٧]:

وأذل نفس خاصمتك بموقف ... حتى الجماد أسىً له يتفطر

وفي انتقاله إلى قصيدة أخرى يلاحظ فيها أن الشاعر قد ذكر تفصيلات أخرى عن مصائب الطف لم يذكرها في القصيدة السابقة حيث تحدث عن السجاد عليه السلام ومرضه وعن حرق خيام آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعن موقف الأصحاب المشرف ويبدأ تلك التفصيلات بقوله [٦٨]:

ذكرتك والسيوف عليك تسطو ... وخيل الشرك هاجمة [٦٩] سراعا

والجميل أن اسم القصيدة (ذكرتك و الطفوف)جاء منسجما ومطلع القسم الرثائي من القصيدة ولعل الشاعر تعمد ذلك فالقصيدة نشرت في ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام [٧٠] وهذه الذكرى غالباً ما تكون مخصصة للبكاء، واستذكار المآسي التي حلت بآل البيت عليهم السلام [٧١] واختيار الشاعر لمطلع القسم الرثائي في قصيدته ليكون عنواناً لها فيه إشارة لتلك الذكرى وتخصيصها بالدمع والألم.

ثم يستنكر الشاعر موقف الجيش الضال الذي حاربه، وإنه قد تصرف بطريقة تأباها كل القيم الإسلامية والعربية وكأن الحسين عليه السلام لا ينتمي للإسلام [٧٢]:

كأنك لست للإسلام تنمى ... ولم تك ذلك الأسد المطاعا
تدافع عن حماك وقد تهاوت ... صحابك دون عزتها اندفاعا
لتثقلها [٧٣] عليك أخس حرب ... وأجرمها اقتباحاً وافتضاحا
و تسلب من بناتك كل ستر ... وتوجعها اضطهاداً وافتزاعا
فلا تبقي بغربتها خياماً ... ولا حام لهن ولا ضياعا

٦٤- مقاتل الطالبين: ٧٣.
٦٥- صوت العقيدة: ٣٠.
٦٦- في المخطوط وردت يا (قصور) بدلاً من يا (قسور): ١١٥.
٦٧- صوت العقيدة: ٣٠.
٦٨- م.ن: ٣٤.
٦٩- في المخطوط وردت (الظلم راكضة) بدلاً من (الشرك هاجمة): ١٢٢.
٧٠- صوت العقيدة: ٣١.
٧١- ورد عن آل البيت (عليهم السلام) استحباب ترك السعي في الحوائج يوم عاشوراء. ينظر: مفاتيح الجنان: ٣٤٨ ومابعدها.
٧٢- صوت العقيدة: ٣١.
٧٣- وردت في المخطوط (لتشعلها) بدلاً عن (لتثقلها): ١٢٢.

إن القيم العربية التي يحرص عليها العربي والتي كانت سائدة في المجتمع منذ عصر الجاهلية هي حماية العرض والدفاع عنه حتى الموت وعندما أشرق نور الإسلام أكد هذه القيمة الإنسانية، لذا فإن الإمام الحسين عليه السلام عندما سقط إلى الأرض بعد أن استشهد أصحابه وأهل بيته دونه وقد أثخنته الجراح وحاول جيش الضلالة أن يهجم على خيام مخدرات آل البيت عليهم السلام ذكرهم بتلك القيمة التي فقدوها حيث قال عليه السلام: يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون. امنعوا رحلي وأهلي من طغاتكم وجهالكم) [٧٤].

لذا فإن الشاعر كان موفقاً حين ذكر دفاع الإمام عن حماه وأعقبه بقوله [٧٥]:

لتثقلها عليك أخس حربٍ وأجرمها اقتباحاً وافتضاعا

أي إن محاولة جيش البغي للتعرض لحرم الإمام الحسين وهو حي قد أثقلته الجراح قد زاد في ثقل الألم عليه ودل على خسة أعدائه وخبث نفوسهم.

ثم ينتقل لوصف حال الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام وقد عانى من آلام المرض، وخارت قواه وقد زاد في معاناته القيد والغل الذي قيد به وهو يساق أسيراً إلى الطاغية يزيد[٧٦]:

وتستاق العليل لشر وغدٍ رهين الغل لا يقوى دفاعا

ثم يعود للإمام الحسين عليه السلام ويذكر مصيبة صدره الشريف المرضوض بحوافر الخيل ليسجل التأريخ بشاعة الجريمة التي فعلها الظالمون، ويذكر كذلك إن تلك الجرائم كانت بمثابة المعاول التي تضرب عرشهم لتعجل زوالهم [٧٧]:

وتجري الخيل فوقك طاحنات لتوسع من جرائمها أتساعا

وتكثر من صحائفها سواداً ومن أركان دولتها [٧٨] انخلاعا

وقد أعاد الشاعر (ذكرتك في الطفوف) مرة أخرى في المقطع الرثائي من القصيدة نفسها للتأكيد على مسألة ربط الدمع والحزن بيوم عاشوراء، وذكر الشاعر صورة الإمام الحسين عليه السلام في ذلك الوقت وقد ارتدى عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحمل مصحفه [٧٩] لتكون الحجة على أعدائه أبلغ ولكنه حين واجه منهم قلوباً مقفلة قد أوصدت الذنوب عليها باباً قال: (تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً أحين استصرختمونا والهين فاصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفاً لنا في إيمانكم... فسحقاً لكم يا عبيد الأمة و شذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب...). [٨٠] والى هذا أشار أبو الطوس قائلاً [٨١]:

ذكرتك في الطفوف بلا نصير تناجي الأهل والدنيا وداعا

وتتلو ألف تبرئة لقوم عليك الغدر سنوه اشتراعا

فوافاك القضاء الحتم طوعاً فلم تقف المخذالاً وامتناعا

٧٤- الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام: ٢٣٩.
٧٥- صوت العقيدة: ٣٤.
٧٦- م.ن.
٧٧- م.ن.
٧٨- في المخطوط وردت (بنيان قلعتها) بدلاً عن (أركان دولتها): ١٢٢.
٧٩- ينظر: الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام: ١٣٩
٨٠- الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام: ١٧٣.
٨١- صوت العقيدة: ٣٥.

فطحت على الثرى قطعاً وراحت بك الأشرار تفتخر اصطناعا

وفي انتقاله إلى طفية أخرى تتحدث عن أربعين الإمام الحسين عليه السلام يلاحظ فيها أن التحدث عن مأساة الطف جاء مختصراً في ثلاثة أبيات من أصل ثمانية وعشرين بيتاً ويمكن تعليل ذلك بأن مناسبة الأربعين يكون الحدث الأكثر وضوحاً فيها هو زيارة الإمام الحسين عليه السلام. فقد وردت روايات عديدة عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام باستحبابها في يوم الأربعين حيث عدت من علامات المؤمن.[٨٢]

والقصيدة التي خصصها الشاعر لهذه المناسبة تنوعت فيها الموضوعات إلا إن جانب المأساة لم يحض بالاهتمام الذي حظي به في القصيدتين السابقتين فلقد ذكر فيها إحاطة الجيش بالإمام عليه السلام بعد أن بقي وحيداً ثم سقط شهيداً على ثرى كربلاء وسيرت بنات الرسالة سبايا معهن الإمام زين العابدين عليه السلام الذي أثقله المرض وأتعبه هول المصائب[٨٣]:

زلزل الطف والجيوش بعزم وقتال يشيب رأس الوليد
وإذا بالقضاء يسطو عليه فيخر الهمام فوق الصعيد
وغدا مأكل الصوارم طرا مذ أحاطت به طغاة يزيد
وبنات الرسول راحت سبايا والعليل الحزين رهن القيود

٣. صوت الذات:

كان الشعر ولا زال انعكاسا لشخصية مبدعة بكل أبعادها وتتجسد فيه آصالته وآلامه وما يختلج في نفسه من أنات فهو "عملية إنسانية يحاول الشاعر من خلالها بوعيه وقدرته الإبداعية نقل أحاسيسه التي عاشها وانفعل معها وتأثر بها إلى جمهوره كي يشاركه إحساسه وانفعاله وتأثره."[٨٤] ومن ثم فإننا يمكن أن نعد القصيدة الطفية بشكل عام عند الشاعر بموضوعاتها صوتاً لذاته.

لقد رأى أبو الطوس في الإمام الحسين عليه السلام مصدر إلهام للشعراء فنراه ينعته بذلك طالبا منه ان يلهمه النهى بعدما حار فيه وعجز عن إدراك سر علاه فهو يقول[٨٥]:

يا ملهم الشعراء ألهمني النهى فالعقل من دنيا علاك محير

ويتحدث في قصيدة أخرى عن شعره ويقول عنه إنه آهات نفسه التي يبثها ويرسلها، وما هو إلا شاعر من شعراء أهل البيت عليهم السلام يتغنى بهم وبفضائلهم فتزيده بذلك ارتفاعاً وسمواً ويمثل حبه لهم عليهم السلام مصدر إلهام ليوحي له بـ (الروائع الخالدات) التي تستبشر الأيام باستماعها قائلاً[٨٦]:

وما شعري سوى آهات نفسي أفجرها وأرسلها تباعا
وما أنا غير شاعركم أغني بكم فيزيدني المدح ارتفاعا
ويلهمني الروائع خالدات لها الأيام تبتشر استماعا

ويخاطب الشاعر الحسين بـ(مولاي) مناديا إياه وملقيا عليه التحية بقوله (يا رمز الكفاح) ليخبره بهيامه وشوقه لعلاه والمتمثل بقطع من قلبه الجريح الذي نثره شعرا يفيض أسى ويزخر به، ويخفض يراعه في ذكراه

٨٢- ينظر: مفاتيح الجنان: ٣٥٤.
٨٣- ديوان الشاعر المخطوط: ٣١٧.
٨٤- مستقبل الشعر وقضايا نقدية: ٣٩.
٨٥- صوت العيقدة: ٢٩.
٨٦- صوت العقيدة: ٣٥.

هيبة لإبائه وتحسرا على ما أصابه، فالفؤاد ملؤه المصاب اللاهب والسلوان الممزق، فألم فاجعته في قلبه محفور ومتجدد، ويستعمل أسلوب الإخبار بـ(كم) ليؤكد عمق الأسى و اللوعة في كل النفوس، وتفجر الآهات في كل الصدور، ثم يعمم الحرقة في كل قلب و الدمعة في كل عين، ولا ريب في ذلك فان " لقتله حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبدا " [٨٧] قال أبو الطوس[٨٨]:

مولاي يا رمز الكفاح تحية ... مني تهيم على علاك وتنشر
قطع من القلب الجريح نثرتها ... شعراً يفيض أسىً عليك ويزخر
وخفضت للذكرى يراعى هيبة ... ولما تبين من الإباء وتظهر
ملَ الفؤاد على مصابك لاهب ... يتمزق السلوان فيه وينشر
كم مهجة تلوى لرزئك لوعة ... ولحزن يومك آهة تتفجر
في كل قلب حرقة لا تنطفي ... وبكل عين دمعة تتحير

ويذكر في قصيدة أخرى إن تلك النار التي تلتهب حزناً على الإمام الحسين عليه السلام توشك من فرط الأسى أن تذيب فؤاده ليحرقه جمر الفجيعة [٨٩]:

أبا الشهداء ملءَ حشاي نارَ ... عليك توجعاً تشب اتساعا
وتوشك أن تذيب أسى فؤادي ... وتحرقني اهتضاماً وافتجاعا

ويتحدث الشاعر في القصيدة ذاتها عن مدحه لآل البيت عليهم السلام وإنه لا يهدي مدائحه لمغرور جاهل جعل من منصبه عرش جلال وهو يعلم انه زائل لا محالة و إنه لا يبيع مدحه ويرفض التكسب بفنه وسيبقى يملؤ الدنيا بمدائحه للحسين عليه السلام و لأهل البيت فهم صارمه الذي يكشف عنه الخطوب وهو النور الذي يستضيء به وهو في الآخرة شفعاؤه ومنجوه من مخاوفها [٩٠]:

علقت بحبكم فكسبت مجداً ... وعزاً كان لولاكم مضاعا
فلا أهديه مغروراً لجهل ... ولم أبدله بالمال ابتياعا
فأنتم صارمي في كل خطب ... وإشعاعي إذا رمت الشعاعا
وفي الأخرى شفيعي حين أشكو ... مخاوفها فأطلب الشفاعا
سأبقى أملؤ الدنيا نشيداً [٩١] ... بمدحكم ابتكاراً وابتداعا

ثم ينتقل الشاعر للحديث عن نفسه والفخر بشعره السياسي على وجه الخصوص إذ إنه كان معروفاً به، إذ يقول عن شعره إنه محرقات تصلي المارقين وألوية للتائهين بسبب جهلهم، وإنه سهام على الدجالين الذين طافوا في أرض الوطن كأنهم سحب سوداء تأبى أن تنقشع، غروراً بأبناء الوطن وحشدوا البلايا عليه إفتراء ـ ولعله يقصد القوى المتحالفة مع الإنكليز ـ [٩٢]:

٨٧- الشعائر الحسينية: ٤٣.
٨٨- صوت العقيدة: ٢٩ – ٣٠.
٨٩- صوت العقيدة: ٣٤.
٩٠- م.ن: ٣٥.
٩١- في المخطوط وردت (نواحاً) بدلاً عن (نشيداً): ١٢٣.
٩٢- صوت العقيدة: ٣٥.

وأصـــــلي المـــــارقين بمحرقـــــات ... مـــــن التبيـــــان تلتهـــــب انـــــدلاعا
وألـــــوي التـــــائهين بكـــــل وادٍ ... مـــــن الجهـــــل الـــــذي يخـــــزي الطباعـــــا
ودجـــــالين للتضـــــليل طـــــافوا ... طـــــواف الســـــحب تـــــأبى الإنقشـــــاعا
وغـــــرارين قـــــد حشـــــدوا البلايـــــا ... علـــــى الـــــوطن افـــــتراءً واختراعـــــا

ثم ينتقل للحديث عن معاناته وآلامه الشخصية التي سببتها التهم والإشاعات التي وجهت إليه ورميه بالتذبذب وغيرها، وهذه مسألة طبيعية فإن المبدع ما إن يقدم إنتاجه للجمهور حتى تأتيه ردود الأفعال بين السلب والإيجاب وهناك من يبالغ بتسليط الضوء على سلبيات المبدع وهفواته نتاجه الإبداعي مما يثير في نفس المبدع حالة من الغضب والثأر لما ينتج فيرد على من ينقده نقداً لاذعاً رداً لاذعاً وهذا ما حصل مع (أبو الطوس)، فإنه شاعر شاب له نشاطات سياسية قد لا تروق لكل الجمهور الذي يصله شعره لذا فإنه تعرض لنوع من أنواع النقد يبدو إنه لم يحتمله فرد رداً وصف فيه من أشاع ذلك النقد بـ (اللئيم)، (الضباع)، (أدنى من القرد) قائلاً [٩٣]:

رمـــــوني بالتذبـــــذب وهـــــو قـــــول ... يـــــردده اللئـــــيم لكـــــي يـــــذاعا [٩٤]
وكـــــروا بـــــالعواء علـــــيّ حتـــــى ... كـــــأنهم قـــــد اختلفـــــوا ضـــــباعا
يـــــرون نفوســـــهم صـــــيداً أبـــــاة ... وهـــــم أدنـــــى مـــــن القـــــرد اتضـــــاعا

لكن الشاعر يرى في الحسين عليه السلام وفي صلته به سماً قاتلاً إلى من يرمونه بالتهم ويقسم الشاعر إنه لو شمر عن ساعده لردهم ولوجه إليهم صفعات من بيانه وتركهم حيارى موزعين وللازمهم القبح والخزي إلا إنه يترفع عن ردهم ويتحسب من حياته حبه للحسين عليه السلام ويرى فيه أعظم المواساة على ما يعاني [٩٥]:

أمـــــا والله لـــــو شمـــــرت بـــــاعي ... لصـــــفعهم وأطلقـــــت اليراعـــــا
إذاً لغمـــــزتهم قبحـــــاً وخزيـــــاً ... يلازمهـــــم قيامـــــاً واضـــــطجاعا
وعفـــــت نفوســـــهم همـــــلاً حيـــــارى ... ووحـــــدتهم موزعـــــة رباعـــــا
أبـــــا الشـــــهداء حســـــبي منـــــك علمـــــاً ... وفخـــــراً يقتـــــل الهمـــــج الرعاعـــــا
وحســـــبك مـــــن حيـــــاتي ذوب وحـــــي ... هـــــوىً لجـــــلال حبـــــك والخشـــــاعا

بعد كل ذلك نرى من غير المناسب أن يتحدث الشاعر عن شعره ونفسه ومشاكله الشخصية في قصيدة حسينية لأن الحسين عليه السلام شخصية إنسانية عالمية تذوب عندها كل الهويات والشخصيات لذا فليس من الملائم أن يتناول الشاعر موضوعاً كمشاكله الخاصة ويعرضها في القصيدة الحسينية لأن ذلك يضعف قصيدته ويقلل من شهرتها فإنها ستتحول من قصيدة عامة يشعر بها كل من يقرؤها إلى قصيدة خاصة إن لم نقل بالشاعر وحده فإنها ستكون خاصة ببيئة كربلاء في تلك الحقبة.

٩٣- صوت العقيدة: ٣٥.
٩٤- وردت في المخطوط (الكسيح لكي يراعا) بدلاً عن (اللئيم لكي يذاعا): ١٢٤.
٩٥- صوت العقيدة: ٣٥ – ٣٦.

المبحث الثاني: موضوعات القصيدة الطفية المولودية

لا ريب في ان قصيدة المولد تستدعي الفرح والإبتهاج وتبتعد عن الحزن والبكاء، من هنا فقد تمحورت قصيدة المولود على محاور ثلاثة رئيسة تمثلت بـ أولا: إشراقات المولد، ثانيا: البطولة، ثالثا: صوت الشاعر (أو الذات)، وسنتناولها بالعرض والتحليل.

أولاً: إشراقات المولد:

افتتح الشاعر إحدى قصيدتيه الطفيتين المولوديتين بمقدمة تكاد تكون غزلية وفيها ألفاظ تدل على ذلك مثل (الصبابة)، (هيمان)، (مغرم)، (الحنين)، (الأشواق) وغيرها إلا أن كلمة (ولاك) التي وردت في عجز البيت الأول منها تشير لنا أن المقدمة ليست غزلية محضة [٩٦]:

ناجاك قلب بالصبابة مفعم ... وفم بغير ولاك لا يترنمَ
وهفا بمولدك المخلد شاعر ... من فيض حبك يستمد وينظم
يزجي القصيد إليك حباً مثلما ... يزجي الحنين إلى الأحبة مغرم
هيمان والميلاد يلهب لحنه ... والذكريات مرفرفات حوم
هيمان والأشواق تملأ قلبه ... لم لا وحبك في القلوب مجسم

ثم يتحدث الشاعر عن حبه للإمام الحسين عليه السلام وأن الحب إذا كان حسينياً كان عزاً ومغنماً لمحبه وجعل الشاعر من روح الإمام الحسين عليه السلام آية إسلامية أفديت في سبيل الله، بعد كل ذلك كيف لا يجزي المسلمون بالحب لتلك الآية ولعمري ذلك أقل الجزاء [٩٧]:

قدست حبك ياحسين بخاطري ... والحب عز في هواك ومغنم
فإذا ذكرتك فالعواصف تلتظي ... وأكاد من فرط الهوى أتضرم
أفديت للإسلام روحك وهي في ... عرف العقيدة آية بل أعظم
أفديتها للمسلمين فكيف لا ... يجزيك بالحب المشرف مسلم

ثم يخاطب الإمام الحسين عليه السلام بتكرار عبارة (قد جئت للدنيا) ويلحقها بقوله أن الإمام عليه السلام كان صباحاً مشرقاً يبدد ظلام الظلم وحساماً مرعباً يقطع أوداج الباطل وجاء مناعة للدين وصمام أمان له [٩٨]:

قد جئت للدنيا صباحاً مشرقاً ... يطوي الظلام بهاؤه المتوسم [٩٩]
قد جئت للدنيا حساماً مرعباً ... يلوي رقاب الظلم منه وتقصم
قد جئت للدين الحنيف مناعة ... لا تنثني من غارة لاتهدم
ومجاهد لم تستملك حلاوة ... أبداً وفي بعض الحلاوة علقم

ويذكر في مقطع آخر من القصيدة أن يوم الإمام الحسين قد انخفضت له الرؤوس مهابة لمن حل مولوداً به، تلك النبتة التي أنبتها الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمت الفرحة أرجاء بيوت المؤمنين في حين كانت المآتم في بيوت الضلالة بينما شعت (يثرب) وأشرقت بنور الحسين عليه السلام:

٩٦- صوت العقيدة: ٣٦.
٩٧- م.ن: ٣٦.
٩٨- م.ن: ٣٦.
٩٩- في المخطوط (بها غد متوسم) بدلاً عن (بهاءه المتوسم): ١٢٦.

جئت الحياة فكل باغٍ راجف ... وبكل بيت للضلالة مأتم[100]
من دوحة علوية قدسية ... بيديه أنبتها الرسول الأعظم
طفح الهدى لما ولدت بساحة ... نوراً له أضطرب الدعي المجرم
فاليوم تنخفض الرؤوس مهابة ... ويلف دنيا البغي هم مظلم
ويجف نبع المارقين وتلتوي ... مهج الطغاة من الشقاء فتعدم
وتشع (يثرب) بالوليد طلاقة ... نعم الوليد بها (الحسين الأكرم)

ويصف الشاعر ذلك اليوم الذي ولد فيه عليه السلام في مطلع قصيدته الأخرى بأنه يوم وضاء أطل فيه سيد الشهداء على الدنيا ، وهذا اليوم قد تنور بالإمام عليه السلام فكيف لاتشرق الدنيا بنوره:

تهفو القلوب ليومك الوضاء ... فرحاً لأنك سيد العظماء[101]
وتهب أفراح الهناء ويزدهي ... وجه الحياة لبسمة العلياء
فالصبح مبتل الخطى متألق ... والأفق في زهو وفي خيلاء
يوم أظل على الملا فتلفتت ... أصم الحياة له بلا إستثناء
يوم أطل على العوالم فجره ... حلو السناء يفوح بالأشذاء
فمشى السرور يجر خلف طيوفه ... زهو الربيع وبسمة الأنداء
والشوق يقطر سلسبيلاً والهنا ... طلق الملامح مشرق السيماء
يوم تنور بالحسين فكيف لا ... يزدان بالأنوار كل فضاء

٢. البطولة:

يكرر الشاعر وصفه لـ(عالم البطولة) كما يحلو له أن يسميه ويقول عنه إنه مقوم بالتضحيات معبد بالدماء[102]:

يا فخر هاشم والبطولة عالم ... بالتضحيات الغاليات مقوم[103]

ثم يعدد الشاعر الأسباب التي كان الحسين عليه السلام مستقطباً لقلوب الناس بموجبها وتظهر فيها نفس الشاعر الوثابة وأريحيته الثورية قائلاً[104]:

إني حببتك صرخة جبارة ... دوى الحجاز بها وضج المحرم
إني حببتك للرعية مصلحاً ... إني حببتك صابراً لا تسأم
تترى الجيوش الصاخبات وأنت في ... أوساطها متوغل متقدم

ثم يضمن الشاعر البيت الشهير الذي ينسب للإمام الحسين عليه السلام وهو للشاعر الكربلائي محسن (أبو الحب) الكبير[105]:

١٠٠- صوت العقيدة: ٣٧.
١٠١- صوت العقيدة: ٣٨.
١٠٢- صوت العقيدة: ٣٧.
١٠٣- في المخطوط وردت (مقدم) بدلاً عن (مقوم): ١٢٧.
١٠٤- صوت العقيدة: ٣٧.

إن كـــــان ديـــــن لم يســـــتقم إلا بقتلـــي يـــا ســـيوف خـــذيني

بقوله[١٠٦]:

لـــولاك (ديـــن محمـــد) لم يســـتقم بـــل لم يكـــن شـــرع هنـــاك مـــنظم
ولعـــاد حكـــم الجاهليـــة مـــرة أخـــرى ولـــف الصـــبح ليـــل مظلـــم[١٠٧]

ثم يؤكد الشاعر على رفض الإمام عليه السلام للذل وعدم وقوفه ساكتاً أمام المفاسد التي تحدث في

أتغـــض طرفـــك والمـــآتم جمـــة والجـــور يعصـــف بالأنـــام ويعـــدم
والمســـلمون مشـــردون يميـــدهم ظلـــم الطغـــاة فكيـــف لا تتـــألم
مـــاالخوف مـــامعنى المخـــاطر مـــاالردى الـــذل أقتـــل للأبـــاة واســـأم[١٠٩]

ويصف ما صنع الظالمون بالأمة الإسلامية وكيف ساسوا أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالسياط والجور وحاولوا جعل الخلافة الإسلامية ملكاً قيصرياً لكي تكون نهايتهم على يد الثائر العظيم [١١٠]:

عبثـــت أميـــة في الحيـــاة كمـــا ارتـــأت وكمـــا يشـــاء فســـادها المـــتهجم
مـــروان يعبـــث بالديانـــة ســـاخراً ويزيـــد في دنيـــا الفســـاد مـــنعم
ساســـوا الرعيـــة بالســـياط وحـــاربوا ديـــن الهـــدى بســـيوفهم وتحكمـــوا
رفعـــوا العـــروش إلى الســـماء فردهـــا لـــلأرض هـــذا الثـــائر المـــتقحم

ثم يذكر مسألة البيعة وكيف رفضها عليه السلام مضمناً قوله: (والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد) [١١١] ويضيف إليه إن الإمام لن يبايع الظالمين ولو سال الدم كالسيل وعوت السماء وفارقتها نجومها بقوله [١١٢]:

طلبـــت أميـــة منـــك بيعـــة رجســـها هيهـــات خـــاب مرادهـــا المتـــأثم
لم تعـــط إعطـــاء الـــذليل يـــداً لهـــا وتقـــر إقـــرار العبيـــد فتنـــدم
لا لم تمـــد يـــداً لنـــذل أميَـــة حتـــى ولـــو مثـــل الســـيول جـــرى دم
لا لم تبـــايع ظالمـــاً حتـــى ولـــو هـــوت الســـماء وفارقتهـــا الأنجـــم
يـــا معهـــد الأحـــرار حســـبك رفعـــة عليـــاء لا تخفـــى ولا تـــتكلم[١١٣]
ســـيظل مجـــدك خالـــداً متعاليـــاً تـــتحطم الـــدنيا ولا يـــتحطم

---

١٠٥ -. ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير: ١٦٩.
١٠٦-. صوت العقيدة: ٣٧.
١٠٧-. في المخطوط وردت (معتم) بدلاً عن (مظلم): ١٢٨.
١٠٨-. صوت العقيدة: ٣٨.
١٠٩-. في المخطوط وردت (وأشأم) بدلاً عن (وأسأم): ١٢٨.
١١٠-. صوت العقيدة: ٣٨.
١١١-. الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام: ٤٢.
١١٢-. صوت العقيدة: ٣٨.
١١٣-. في المخطوط وردت (تتكتم) بدلاً عن (تتكلم) ونحسب إن الثانية أكثر انسجاما في المعنى: ١٢٩.

وبالطريقة نفسها التي عالج بها موضوع البيعة في القصائد الرثائية يعالجه في قصيدته الأخرى بطريقة باردة لا ترقى إلى القصيدة السابقة بقوله [١١٤]:

ورفعت نفساً لاتقر سياسة ... جبلت على التضليل والإغراءِ
وأبيت إلا أن تعيش مجاهداً ... حر العقيدة ثابت الآراء
ووقفت من دعوى أمية موقفاً ... متشرباً بالهمة القعساء
ونفضت كفك عن تراب فرضه ... يخزى الرجال وشيمة الصلحاء
تأبى الشريعة أن تبايع فاسقاً ... قد عاش بين الغيد والصهباء
ما بيعة الأشرار إلا وصمة ... للعار ما ضمت سوى الفحشاء

٣. صوت الذات:

يعد الشاعر الإمام الحسين عليه السلام ملهماً له وهذا ما أكده في قصائده الطفية الرثائية وتلك الفكرة يذكرها الشاعر من جديد في قصائده الطفية المولودية اذ يعد الحسين عليه السلام مصدر إفاضة لخواطره فيسكبها شعراً يقدمه له، ووسيلة يقترب بها منه فنراه يقول [١١٥]:

في يوم عيدك تستفيض خواطري ... شعراً كأحلام الصبا تتنسم [١١٦]
شعراً سبكت به الفؤاد وليس لي ... غير القصيد وسيلة أتقدم

ويطلب من الإمام عليه السلام أن يمنحه من بيانه عطاءً آخراً لأنه يستعين به في نظم القوافي وهو ملهمه [١١٧]:

مولاي زدني من بيانك إنني ... بك أستعين وأنت أنت الملهم

ويقول في قصيدته الأخرى أن شعره فيض مودة وولاء لآل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأن العواطف في حبهم وفي يوم مولد الحسين عليه السلام تزخر نشوة لتتفجر بروائع (الإيحاء) [١١٨]:

زخرت بمولدك العواطف نشوة ... وتفجرت بروائع الإيحاء [١١٩]
رددت ذكرك بالقصيد مودة ... والشعر فيض مودة وولاء

هذه أهم الموضوعات التي جاءت في قصائد المولد الحسيني عند (أبو الطوس)، عرضنا لها بالتحليل و الدرس.

الخاتمة

ومن خلال ما تقدم يمكن قطف الثمار الآتية:

١. مثلت قصائد عباس أبو الطوس الطفية الرثائية منها والمولودية جزءاً من شعره الوطني والسياسي الذي أشتهر به وعرف عنه.

٢. جاءت قصائد المولود أقل طولاً من قصائد الرثاء، إذ وصل عدد أبيات أحدها إلى ستة وأربعين بيتاً والأخرى إلى اثنين وعشرين بيتاً بينما تجاوزت إحدى قصائد الرثاء المائة بيت وبلغت قصيدة الأربعين ثمانية

١١٤- صوت العقيدة: ٣٩.
١١٥- م.ن: ٣٦.
١١٦- في المخطوط وردت (يتبسم) بدلاً عن (تتنسم): ١٢٦.
١١٧- صوت العقيدة: ٣٦.
١١٨- م.ن: ٢٩.
١١٩- في المخطوط وردت (الإحياء) بدلاً عن (الإيحاء): ١٣٠.

وعشرين بيتاً ووصلت الثالثة إلى ثمانية وسبعين بيتاً، مما يعني اهتمام الشاعر بقصيدة الرثاء أكثر من المولود ولربما يرجع إلى حياة الشاعر المليئة بالألم و الحزن.

٣. ركز الشاعر على موضوع البطولة في قصائده الطفية الرثائية والمولودية أيضاً وهو ما نعزوه إلى نفسية الشاعر الثائرة وروحه الوثابة التي تميل لمعاني البطولة فضلاً عن الظروف العصيبة التي كان يعيشها العراق أبان الاحتلال الإنكليزي فجاء تركيز الشاعر على هذا الجانب ليبعث في نفوس متلقيه عبق الثورة والنضال من أجل التحرر والاستقلال وشاهده على ذلك ما فعله الحسين عليه السلام في معركة الطف.

٤. كان صوت الذات معبراً عن مشاعر الشاعر وانفعالاته اتجاه موضوعه وعبر من خلاله عن عواطف شتى كالفرح والسرور في قصائده المولودية والحزن والغضب لما أصاب الحسين عليه السلام وأهل بيته في قصائده الرثائية، وروح الثورة ورفض الظلم والاستكانة في جميعها. وكان الحسين عليه السلام ملهمه ورمزه النضالي.

٥. عرض الشاعر في قصائده الطفية الرثائية لمأساة الطف بشكل عام وما جرى على الحسين عليه السلام وأهل بيته الكرام وكان عرضه لها مؤثراً نابعاً من إحساسه الصادق بالألم واللوعة على ماحل بالحسين عليه السلام وأهل بيته في تلك الواقعة، ولربما كان عرضه لها متنفساً للظلم والألم الذي كان يعانيه الفرد العراقي في تلك الأيام.

٦. عرض الشاعر في قصائده الطفية المولودية إشراقات المولد المبارك ما يمثله من خير وبركة لهذه الدنيا، فالولادة تعني أملاً جديداً بالتغير وإعطاء الحياة أبعاداً جديدة تبعدها عن الخمول والسكون لتدب فيها الحياة وتتواصل بالعطاء.

٧. وأخيراً يمكن القول إن موضوعات القصيدة الطفية الرثائية والطفية المولودية تشابهت في طريقة المعالجة تقريباً إلا أن القصيدة المولودية خلت من جانب المأساة الذي يعد عنصر بارزاً من عناصر القصيدة الرثائية، ليحل محله موضوع إشراقات المولد الحسيني المبارك، ليتلاءم مع التعبير عن الفرح والسرور في مناسبة المولد.

ومن هذا الاستنتاج الذي أوضحه البحث وأكده أمكننا أن نوسع مصطلح (الطفيات) الذي خصصناه بموضوع الرثاء ليشمل قصائد المولد الحسيني وننعتها بـ(الطفيات المولودية).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المخطوطات:

ديوان الشاعر عباس مهدي أبو الطوس، جمع: د. عبود جودي الحلي يقع في ٣٧٦ صفحة من الحجم المتوسط (دفتر مدرسي)، مكتبة الدكتور عبود جودي الحلي الخاصة.

الكتب المطبوعة:

الاحتجاج لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، جواد شبر، الطبعة الأولى، مؤسسة التاريخ، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

الأدب العربي في كربلاء من إعلان الدستور العثماني إلى ثورة تموز ١٩٥٨ م، اتجاهاته وخصائصه الفنية، الدكتور عبود جودي الحلي، منشورات مكتبة أهل البيت عليهم السلام، سوق الخفافين، كربلاء، ٢٠٠٥م.

أضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، السيد محمد الصدر، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
تأريخ العراق الحديث السياسي للسيد عبد الرزاق الحسني، الطبعة الأولى، بغداد ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٩م.
حياة الإمام الحسين عليه السلام ، الشيخ باقر شريف القرشي، المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦ م.
الحسين عليه السلام في الفكر المسيحي، أنطوان بارا، الطبعة الأولى، مؤسسة نور الكوثر، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.
دراسات في الشعر العراقي الحديث، السيد سلمان هادي آل طعمة، دار البيان العربي، بيروت ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
دليل كربلاء المقدسة، السيد سلمان هادي آل طعمة، الطبعة الأولى، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠١م ـ ١٤٢١هـ.
ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير، تحقيق: جليل كريم أبو الحب، الطبعة الأولى، المكتبة الحيدرية، مطبعة الشريعة، ١٤٢٧هـ.
ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه علي خريس، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبط الديوان وصححه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٠ م.
شذرات من فلسفة تأريخ الإمام الحسين عليه السلام ، السيد محمد الصدر، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
الشعائر الحسينية، السيد حسن الشيرازي، مكتبة هيئة الأمين، الكويت، بنيد الكار.
صوت العقيدة، جمع وتحقيق السيد سلمان هادي آل طعمة، الطبعة الأولى، المكتبة الحيدرية، ١٤٢٢هـ.
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ١٩٧٢م.
معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، كامل سلمان الجبوري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
معجم الشعراء الشعبيين في كربلاء، تأليف طه الربيعي وإبراهيم العامري، الطبعة ألأولى، منشورات مكتبة الحكمة، كربلاء، شارع الإمام علي عليه السلام ، ٢٠٠٥م.
معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء، سلمان هادي آل طعمة ، الطبعة الأولى ، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩ ـ ١٤٢٠هـ.
الملحمة الحسينية ، للشيخ مرتضى المطهري، الطبعة الثانية، منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
مستقبل الشعر وقضايا نقدية، الدكتور عناد غزوان، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، ١٩٩٤م.
مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي، تعريب: محمد رضا النوري النجفي، الطبعة الأولى، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م ـ ١٤٢٥هـ.

مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، منشورات الأعلمي، بيروت.

الوطنية في شعر كربلاء لتوفيق حسن العطار، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

الرسائل الجامعية:

كربلاء في الشعر العراقي الحديث من (١٩٢٠ – ١٩٧٠)م رسالة ماجستير تقدم بها الطالب: عبد الحسين برغش عبد علي الى مجلس كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٥م.

مراثي الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي للحقبة (١٩٠٠ – ١٩٥٠)م دراسة في الموضوع والفن، رسالة ماجستير تقدم بها الطالب: علي حسين يوسف إلى مجلس كلية التربية، جامعة كربلاء، ٢٠٠٩م.

الدوريات:

طفيات الشريف الرضي دراسة في اللغة الشعرية، بحث للدكتور علي كاظم المصلاوي، منشور في مجلة جامعة كربلاء العدد العاشر، المجلد الثاني، ٢٠٠٥م.

المحاضرات:

محاضرة عن الشاعر عباس أبي الطوس للدكتور عبود جودي الحلي، ألقيت ضمن أماسي البرنامج الثقافي لإتحاد الأدباء، فرع كربلاء على قاعة نقابة المعلمين في مساء الاثنين ١٩٩٣/١١/٨م.